قصص

المصير المنتظر

محمد مصطفى العمراني

kh
مكتبة بنيان

جميع الحقوق محفوظة لدى المؤلف
المؤلف: محمد مصطفى العمراني
اسم الكتاب: المصير المنتظر
نوع الكتاب: قصص
رقم التصنيف: ( )
الناشر: مكتبة بنيان (٧٧٧٦٢٧٦٣٣-٧١١٣٥٥٢٢٣)
مراجعة وتدقيق:
لوحة الغلاف: للفنان الراحل عبد الجبار نعمان رحمه الله
تنسيق وإخراج: أريج علي
الطبعة: الأولى ٢٠٢٣م
رقم إيداع بدار الكتب الوطنية بمأرب:( ) للعام **٢٠٢٣**م
يسمح بنشر أجزاء هذا الكتاب بأي شكل من أشكال النشر الالكتروني فقط مع تضمين الهاشتاق: **#المصير_المنتظر**
ولا يجوز اقتصاص أي جزء من هذا الكتاب بهدف إهدار حقوق الملكية الفكرية أو إعادة إنتاجه بشكل مادي أو معنوي
إلا بموافقة المؤلف.
للتواصل مع المؤلف:

إخلاء مسؤولية:

الآراء المنشورة بأسماء كاتبيها لا تعبر بالضرورة عن رأي دار النشر، ولا تتحمل الدار أي مسؤولية مترتبة على محتوى ما يتم نشره.

الإهداء

إلى الإعلامي المخضرم والبدر الذي أطل في سماء الإعلام اليمني فأنار الكثير من الدروب المعتمة.

إلى الإنسان الذي كان وسيظل منحازا للحقيقة محباً لوطنه وللخير والجمال .

إلى أستاذي وأخي الأكبر علي صلاح أحمد أهدي هذه المجموعة القصصية .

المصير المنتظر

الساعة العاشرة ليلاً وأنا على عجلة من أمري ، أريد العودة إلى منزلي فقد تأخرت والسماء بدأت تمطر وبرد صنعاء على أشده ، برد متوحش يغزو مفاصلي ويلفح وجهي ، أوقفت سيارة أجرة ودون أن أفاوض السائق بالأجرة فتحت الباب ورميت بنفسي على المقعد ، أخبرته بالمكان الذي أريده فهز رأسه ومضى بصمت.

بدأ المطر يتساقط بغزارة وبدأت أنكمش على نفسي من البرد..

ولكي أبدد الصمت المطبق قلت :

- ألا ترى أن البرد هذا العام أشد من الأعوام السابقة ؟

هز رأسه موافقا ومضى بصمت.

ومضيت أتحدث :

- لي ثلاث سنوات منذ سكنت في صنعاء ، في هذا العام البرد شديد جداً!.

هز رأسه مجددا دون أن يتحدث.

- هل هو أخرس ؟!

تساءلت في نفسي..

سيارته متهالكة والمقاعد متسخة وقد تآكلت حوافها والأبواب بالكاد تغلق ، لم أشعر بالدفء فقد تسللت الريح من باب السيارة الذي لم يغلق تماما ، لقد شعرت أنني تورطت حين ركبت في هذه السيارة المتهالكة ، هممت أن أطلب منه أن يتوقف ويتركني لأستقل سيارة أجرة أخرى لكن تعاطفي معه وتأخر الوقت والمطر الذي هطل حينها ، عوامل جعلتني أتحمل الوضع البائس لتلك السيارة.

عندما فتح الرجل فمه ليتحدث فوجئت بأن ليس في فمه إلا القليل من الأسنان ، سنتان في المقدمة وضرس في الفك العلوي وآخر في الفك السفلي إضافة إلى السنتين الأماميتين!.

ولولا تلك الأسنان القليلة لبدا فمه كأنه مغارة موحشة

استغربت مما رأيته وبادرته بالسؤال :

ـ هل تمضغ القات ؟

ـ لم يعد لدي أسنان لأمضغه

وأضاف :

ـ وحتى لو كان لي أسنان فهناك ما هو أهم من القات.

ولم أصبر فسألته :

- لماذا لا تركب لك طقم أسنان ؟

ابتسم بمراره ثم تنهد قائلاً:

- وحتى الأسنان لم تعد أولوية .. تصور ؟

تحدث الرجل بلثغة واضحة بسبب أسنانه التي تساقطت ، لم يكن عمره فيما يبدو كبيرا كان في منتصف الأربعينات كما أتوقع.

بعد أن أوصلني إلى منزلي بت أفكر في ظروف هذا الرجل الذي لم يستطع تركيب طقم أسنان!.

كيف يأكل ؟

يبدو أنه يأكل عصيدة ويشرب الملوخية والعصائر فقط

مؤكد بأنه يشتهي الكثير من الفواكه والمأكولات ولكن ليس له أسنان!.

مؤخرا خلعت ضرس كان قد تآكل ولم تفلح محاولات الطبيب في إبقاءه أو البناء عليه ، قبله كنت قد خلعت عدة ضروس ، حينها قررت زراعة ضروس مكانها ، نصحني طبيب أسنان يومها :

- الزراعة هي الأفضل ولكنها تكلف أكثر ، ولكنها أسنان للعمر.

قررت حينها أن أجمع المال وأبحث عن طبيب أسنان ممتاز لزراعتها.

مرت سنوات وأنا أحاول جمع المال ولكن دون جدوى ؛ وكلما جمعت مبلغ كلما صرفته في الأولويات!.

مؤخرا كنت عند طبيب الأسنان الذي أكد لي بعد أن أطلع على تقاريري الطبية أنني لن أستطيع زراعة أسنان لأني مصاب بالسكري المرتفع الذي أدى لتآكل اللثة وتراخي الأسنان ، وأن تركيب أسنان هو الحل.

تركيب الضرس الواحد سيكلفني ٦٠ دولاراً على الأقل.

حذرني الطبيب مؤكداً أن الحفاظ على ما بقي لي من أسنان هي مهمة صعبة جدا إذا استمر السكري بهذا المستوى.

قرأ على وجهي الحزن فأعاد لي بعض الأمل :

ـ ممكن تزرع أسنان ولكن ليس الآن ، حين ينزل السكري لديك إلى نسبة معقولة وتحافظ على صحتك بشكل أكبر .

سألته :

ـ وكم يكلف زراعة الضرس الواحد ؟

ـ أنا أزرعه بـ ٦٠٠ دولار لكن ممكن أخفض لك المبلغ إلى ٥٠٠ $ ، وهذا لك أنت فقط.

وحسبتها ٠٠ طالما أحتاج لزراعة أربعة أضراس يعني أحتاج ألفين دولار ، وهذا مبلغ كبير جدا بالنسبة لي ، ولذا فإن تركيب أضراس هو الحل الممكن.

اتفقنا على تركيب ضرس في البداية ، وبعد فترة أركب ضرس جديد ، أعطيته ١٠ ألف ريال عربون ، حدد لي موعدا بعد أسبوع ، وحين حان الموعد كنت مفلسا لا أمتلك ثمن كعكة ، ولذا فقد تجاهلت كل الاتصالات التي هطلت على هاتفي من عيادة الطبيب!.

حينها اجتاحني شعور بالمرارة فتركيب الأسنان لم يعد أولوية بالنسبة لي!.

تذكرت ذلك الرجل الذي رأيته قبل أكثر من عشرين عاما ، يومها لم أستوعب أمره ، ولم أقدر ظروفه ، الآن أشفقت عليه بعد فوات الأوان ، وتساءلت :

- هل ما يزال حياً ؟

- وهل أستطاع تركيب طقم أسنان ؟

- وهل سيكون مصيري مثله ؟

مؤكد إذا تقدم بي السن أكثر ستتساقط بقية أسناني ، تخيلتني أمسك بالهاون وأدق عليه لأفتت أعواد القات ثم أمضغه بالملعقة كما كان جدي في القرية يفعل ،

كان صوت هاونه يسمع إلى المنازل المجاورة ، حينها تردد النسوة :

- الحاج بدأ يخزن.

ربما سيكون حظي أفضل فإذا أردت مضغ القات سأعصر أعواده بتلك الآلة التي اشتريتها لأمي مؤخراً ، وتساءلت في نفسي :

- هل سأتحدث حينها بشكل ألثغ ؟

- أم أنني سأتمكن من تركيب طقم أسنان ؟

- وهل سيكون لدي سيارة أجرة متهالكة أقودها وأتوقف ليلاً لشاب يسألني بفضول عن أسناني ولا يستوعب ظروفي إلا بعد فوات الأوان ؟!

نـهاية مشعوذ

حين عملت بالتدريس في إحدى المدارس في ضواحي مدينه إب ، استطعت بالتعاون مع البعض من المدرسين تحويل المدرسة إلى شعلة من النشاط والعطاء الذي تجاوز المدرسة إلى المناطق المجاورة ، محاضرات في المساجد ، أسمار ومهرجات ، رحلات ومباريات ، مسابقات وجوائز ، لقاءات في المقايل ، أنشطة دعوية وثقافية ، لكن سرعان ما جاء قرار نقلي من تلك المدرسة إلى مدرسة نائية في أقصى الريف كعقوبة على نشاطي الذي تم تصنيفه لصالح تيار سياسي !.

شعرت بحزن شديد ، بحثت عن وساطة كبيرة توقف قرار إبعادي عن المدرسة لكن كل المحاولات باءت بالفشل.

سلمت أمري إلى الله ، وذات صباح خريفي ودعت الزملاء والطلاب ، وحزمت أغراضي ورحلت إلى تلك القرية النائية.

وصلتها ليلا ، سألت عن المدرسة فدلوني عليها ، لم أصدق أن ما رأيته هي المدرسة ، ثلاثة فصول متهالكة بلا أبواب ولا نوافذ ولا كراسي ولا سبورات ، مجرد خرابة تبيت فيها بعض الكلاب الشاردة !.

هل هذه هي المدرسة التي سأدرس فيها ؟!

سألت صاحب الدكان الذي يبيع كل شيء عن المدير فقال :

- الشيخ غير موجود ، الشيخ في المدينة

- أنا أبحث عن مدير المدرسة وليس عن الشيخ.

- الشيخ هو مدير المدرسة !.

- أنا المدرس الجديد المرسل إلى المدرسة ، دلني على بيت أي مدرس من أبناء المنطقة أو وكيل المدرسة أو نائب المدير.

هز رأسه مستغربا فلم يسمع قبل اليوم بمدرس من أبناء المنطقة ، أو شيء اسمه الوكيل أو ونائب المدير !.

الشيخ هو كل شيء..

طلبت منه أن يدلني على الجامع لأبيت فيه لكنه استضافني في منزله.

في صباح اليوم التالي انتظرت أن يأتي الطلاب لكن لم يأت أحد !.

سألته :

- أين الطلاب ؟

- حتى الآن لا يوجد طلاب !.

كان علي انتظار الشيخ حتى يعود ويأمر الناس بإرسال أولادهم للمدرسة أقصد الخرابة التي يسمونها مدرسة.

بدأنا من الصفر وتمكنت بدعم الشيخ والأهالي من إصلاح أوضاع المدرسة وبناء سكن لي بجوارها ، جمعت ما يقارب ٢٠٠ طالب وبدأت تدريسهم ، وبدأت الأمور تمضي ببطء وتتحسن يوما بعد يوم.

ما حز في نفسي هو النشاط الواسع لأحمد جابر وهو مشعوذ من أدعياء العلاج بالقرآن والطب العربي ، له تأثير كبير على الناس ، ودائما ما يتحدثون عنه :

الفقيه قال ، الفقيه كتب لولدي حرز فتعافى ، الفقيه عالج زوجتي من المس ، الفقيه كتب سورة الواقعة فنزل المطر ، الفقيه يقرأ الكف ، ويكشف الطالع ويعرف النجوم.

يعتقد الكثير منهم بأنه ولي مكشوف عنه الحجاب ، لكنني عرفته من أول لقاء بأنه دجال.

ذهبت إليه سرا ونصحته لكنه أعرض عني ساخرا وهددني بأن يسلط عليّ أعوانه من الجن !.

حذرت الناس منه ، وكشفت حقيقته وناقشته في مقيل الشيخ فأفحمته فسكت قائلا :

- أنت ضيف عندنا ولن أرد عليك ، ويعلم الله ماذا سيحدث لك ، قد تنهشك حية في الليل ، أو يلدغك ثعبان في فراشك

أو تصيبك رصاصة طائشة ، فمن يعادي أولياء الله مصيره بشع.

أدركت أنه يهددني لكنني لم أخف منه.

الغريب أن الشيخ وقف معي وصاح في المجلس :

- المدرس ضيفنا ، وفي حمايتي شخصيا ، واذا حدث له شيء فأحمد جابر غريمه ، اشهدوا يا ناس لقد هدده أمامي.

في تلك الليلة فوجئت بالشيخ يطرق باب سكني ، جلسنا وتحدثنا.

أخبرني أنه يعرف حقيقة أحمد جابر وأكاذيبه على الناس ، وأنه دجال خبيث ، وحذرني منه فهو لن يتورع عن إرسال من يدس لي السم ، أو يقتلني بالرصاص إذا واصلت التحريض عليه ، سيفعلها حين يغادر إلى المدينة ليبعد عن نفسه التهمة.

لم تمض سوى أيام حتى غادر أحمد جابر إلى المدينة ، حينها أخذت كافة احتياطاتي وحذري ، زودني الشيخ بمسدس ، ونصحني سرا أن أنام في السقف وأترك الأضواء في السكن ، وأفتح صوت الراديو وأضعه في النافذة حتى يتأكد من سيستهدفني أنني في السكن.

مددت عدة وسائد على فراشي ودثرتها كأنني أنا النائم وجعلت الباب شبه مفتوح فهاجم السكن مسلح مجهول أطلق النار على فراشي ولاذ بالفرار.

في اليوم التالي جاء إلى المدرسة أحد أقارب أحمد جابر يدعوني لتناول الغداء في منزله فأعتذرت له ، وفوجئت به في المساء يأتيني بطعام فاخر فوعدته بتناوله ، ولما غادر وضعته للقطط فماتت بعد تناولها.

لقد دسوا فيه السم فعلا.

فشلت كل محاولات اغتيالي ، وبدأ الناس في القرية يتحدثون عن محاولات " الفقيه " لقتل المدرس وانكشفت حقيقته للكثير منهم.

المشكلة أن الناس صاروا ينظرون لي كأنني ولي من أولياء الله الصالحين ، لا تؤثر في الرصاص ولا يقتلني السم !.

ولما فشلت عصابة المشعوذ في اغتيالي بأي وسيلة ، عاد أحمد جابر ذات ليلة تحت جنح الظلام ، لم يعد إلى بيته بل جاء إلى سكني وهو يردد:

- يا غريب كن أديب وإلا نهايتك قريب.

بحث عني في السكن فلم يجدني ، كان غاضبا يسب ويشتم ويهدد ويتوعد.

أمسك بجهاز المسجل الذي يقرأ القرآن ورماه على الأرض حتى تفتت ، بعثر أدوات السكن وخرب بعضها ، بحث عني في الفصول وبجوار المدرسة ، وأنا أراقبه بصمت من سطح السكن ، تركته يجري هنا وهناك ويسب ويشتم كالوحش المسعور حتى خف غضبه وتوقفت حركته وجلس يمضغ القات بصمت ، وحينها هاجمته بغتة من الخلف ووضعت المسدس خلف رأسه صارخا فيه :

-أين أعوانك من الجن يا دجال ؟

ارتبك وتلعثم ولم يستطع النطق ، كان يرتجف مثل دجاجة تم ذبحها للتو.

صرخت فيه :

- أنت جبان كذاب ، تخدع البسطاء وتضحك على النساء ، والليلة ستنتهي قصتك وتظهر حقيقتك ، ستسير وسط بيوت القرية ، وتعترف بجرائمك وأفعالك ، هيا تحرك أمامي.

تحرك أمامي صاغرا متوسلا عارضا عليّ الأموال الكبيرة مقابل تركه وشأنه.

حين اقتربنا من منزل الشيخ حاول الفرار فأطلقت رصاصة في الجو ؛ وحينها حدث ما لم يخطر لي على بال ، لقد سقط على الأرض ، في البداية ظننت أنه يمثل عليّ

وأنها لعبة منه ، وحين قلبته وحاولت سماع نبض قلبه وجدته ميتا دون حراك !.

أقبل الشيخ كأنه كان ينتظرنا ، كان يقود أحد الكلاب ، أخذ مني المسدس ووضع فيه كاتم الصوت وأطلق النار على الكلب.

أشار عليّ بالعودة إلى السكن فورا ، وأن أصمت تماما وسيتولى هو الأمر.

بعدها تجمع الناس فأكد لهم الشيخ أنه أطلق الرصاص على الكلب لأنه مسعور ، وقد طارد أحمد جابر ليعضه ، وأنه مات من الخوف ، وفعلا لم يجد الناس في أحمد جابر أي خدش أو أثر للرصاص ، كما أكد الطبيب أن أحمد جابر مات بالسكتة القلبية وحينها تخلصت القرية من أحقر مشعوذ دجال وتخلصت من أكبر هم عرفته في حياتي.

وأشرق في القرية صباح جديد..

صدمة العمر

حين وصل قاسم سعيد قريته " أكمة الغراب " بعد سنوات من الغربة في السعودية لم يخطر بباله لحظة واحدة أنه سيدفع ذلك الثمن الفادح لشقاوته مع تلك الطبيبة قبل أشهر.!

نحن في منتصف الثمانينات لا هواتف ولا اتصالات ، الليل قد انتصف والجميع قد أسلموا أنفسهم لنوم عميق ، لا صوت سوى صوت بومة في الأكمة ، وكلاب تنبح في قرية مجاورة .

لولا قمر منتصف الشهر لما أستطاع قاسم أن يقود سيارته الجديدة في طرقات القرية الوعرة وأن يصل إلى منزله .!

في منزله أستيقظ الجميع فزعا من صوت السيارة الذي شق سكون الليل ، ولم يبدد ذلك الفزع سوى فرحتهم بوصوله بعد سنوات الغربة العجاف .

من فرحتها تعثرت زوجته بأوعية البيت ، سقطت عدة مرات ليرفعها هو ويقبل رأسها فتجهش بالبكاء ، ليشهد منزلهم فرحة لم يعشها منذ سنين .

وزعت هدايا الأطفال وملابسهم عليهم فشرعوها يلبسونها كأنهم في ليلة عيد ، أما هي فلم يكن يهمها شيئا سواه ،

أخيراً ستجني ثمار صبرها الذي طال بعودته إليها ، لقد أقسمت الأيمان المغلظة ألّا تدعه يعود للغربة أبداً .

أسرعت إلى الزريبة واختارت الجدي السمين وذبحته وأعدت له العشاء ، وفي غرفة نومه ظلا يتحدثان حتى أشرقت شمس النهار .!

بعدها أعلنت حالة الطوارئ في المنزل لتوفر الهدوء لزوجها لينام .

ولم تمض سوى ساعات حتى أقبل أقاربه وأهالي القرية يهنئونه بعودته ويحتفلون به .

في الليل أحتضن زوجته ونام ، حدثت نفسها بأنه ما يزال يعاني إرهاق السفر وقد صبرت عليه سنوات فلتصبر عليه حتى يستريح لأيام .

مضت ليالي وتفاجأ هو بنفسه وقد صار عاجزاً عن معاشرة زوجته التي بدأت تنظر له بنظرات مليئة بالشك والحيرة .

تذكر حينها قصته مع تلك الطبيبة المصرية في المستشفى العام بالظهران ، حين أخبر رفاقه في السكن أنه قادراً على أن يجعلها تقع في حبه حينها ضحكوا عليه وسخروا منه فقرر أن يعمل المستحيل ليكسب الرهان

اشترى هدية فاخرة وذهب إليها فسألته :

ـ الهدية دي بمناسبة إيه إن شاء الله ؟!

أسقط في يده فلم يدر ما يقول ، اعتذرت له وأعادت إليه الهدية ، عاد مرة أخرى يطاردها ويحاول إغرائها بشتى السبل وهي ترفضه وتهدده بأّن تشكوه للشرطة .

أخيراً ادعى المرض لتعالجه ، وحين سألته مما يشكو ادعى أن مرضه في أسفل بطنه ، سألته وقد بدأت تشك في أمره :

ـ متأكد أسفل بطنك بيوجعك ؟!

نظر حوله فلم يجد أحداً فابتسم بخبث وهو يقول :

ـ بصراحة تحت شوية .

أدركت ما يرمي إليه فأكدت له بأن يطمئن تماماً فقد عرفت مرضه وستقدم له العلاج المناسب .

تحمل منها تلك الحقنة المؤلمة على أمل أن تكون فاتحة علاقة يكسب فيها الرهان، ولم يخطر بباله أنها قد قتلت فيه الرغبة الجنسية وإلى الأبد .

لم تمض سوى أيام حتى غادرت المستشفى والسعودية كلها عائدة إلى مصر .

خسر الرهان مع رفاقه ثم نسي الجميع تلك القصة السخيفة.

بعد أشهر عاد إلى قريته ليتفاجأ بالعجز الجنسي الذي جعله يحتقر نفسه أمام نظرات زوجته التي لا ترحم .

نادته وهم في الفراش :

- قاسم

- نعم

- ماذا حدث لك ؟!

- .....

- أين ذهبت رجولتك ؟!

- .....

- اذهب للطبيب في المدينة ولا تعد إلا بعد أن تتعالج لو تصرف مالك كله .

وبعد إجراء العديد من الفحوصات والتحاليل والأشعة أكد الطبيب لقاسم بأنه قد تعرض لعلاج أدى لقتل حيواناته المنوية وعجزه جنسياً ، وأنه لابد من معرفة هذا العلاج أولاً ثم الخضوع لعلاج طويل على أيدي أطباء في مشافي متخصصة بالخارج .

ولم يضيع الوقت فقد غادر إلى السعودية ومنها إلى مصر وحين وصل مدينة المنصورة وسأل عن الدكتورة هالة المخزنجي كانت قد غادرت مصر إلى الولايات المتحدة مع زوجها .

عندها شعر قاسم بخيبة الأمل كبرى قائلاً :

ـ أما أمريكا فلا أستطيع الوصول إليها .

وحين عرض حالته على طبيب متخصص في مستشفى المنصورة أكد له الطبيب أنه تأخر كثيرا بالعلاج ، وأن الغدد الجنسية قد فقدت خصوبتها تماماً ولكي يستعيد خصوبته عليه السفر فورا لألمانيا.

وعاوده اليأس مرة أخرى :

ـ وحتى ألمانيا هذه لا أستطيع السفر للعلاج فيها .

استسلم لواقعه المر وعاد إلى اليمن ، وحين أخبر زوجته بكل ما حدث كان متأكداً أنها ستصبر عليه وتستر سره لكنه فوجئ بها وقد طلبت منه الطلاق ، وحين تلكأ وحاول مراجعتها صاحت في وجهه :

ـ تطلقني وإلا أفضحك فضيحة العمر .

لقد رأى منها الوجه الذي لم يره يوما ، فجأة نبتت لها مخالب وأنياب وكشرت في وجهه كلبوة مفترسة ،

رمت بكل الحلي الذهبية والهدايا التي أشتراها لها ليشتري صمتها عرض الحائط .!

شعر بأنه يسقط في هاوية مظلمة لا قرار لها .

طلقها بصمت ، وذات صباح غادر قريته وهو لا يدري إلى أين سيتجه ؟

ومضت أسابيع في القرية ولا حديث للناس إلا عن طلاق زوجة قاسم سعيد ومغادرته القرية ، وبدأت النساء في الحقول وموارد الماء يتهامسن :

- الناس حسدوا قاسم سعيد ومرعوه

- قاسم سعيد أصابته عين فطلق زوجته وهاجر

- قاسم عشق امرأة في السعودية وعاد إليها

- زوجة قاسم سعيد هي التي جننته ودفعته للغربة

وبدأت زوجته تحكي قصته للنساء وتوصيهن بأن لا يحدثن أحد ، ولم يمض سوى أيام حتى صارت قصته مع الطبيبة وعجزه الجنسي على كل لسان .

في طريق العدين الجراحي اشترى قاسم قطعة أرض وبنى عليها سكناً وبقالة ، يبيع المواد الغذائية للعابرين ويمون سيارتهم بالبنزين .

بنى أمام البقالة دكة ونصب فيها مداعة " نارجيلة " ، جلب له كلباً صغيرا ورباه ليجد فيه الوفاء الذي أفتقده في زوجته .

وحين عرف أولاده الطريق إليه سألهم :

- هل تزوجت أمكم ؟

وحين أخبروه بأنها قد تزوجت بشقيقه لعنهم جميعاً وأقسم على ألا يعود أبداً .

تمر الأيام وتتبدل الفصول وتمضي السنوات وقاسم يطلق النكات ويمضغ القات ويروي حكايات من خياله للعابرين .

وفي الليالي الطويلة حين يظل وحيدا يمضغ وريقات القات وينفث دخانه في الهواء يتذكر زوجته وكيف صدمته حين طلبت الطلاق :

يبصق القات من فمه :

ـ تف عليها تافهة حشرة .

ويظل يلعنها وينصب لها محاكمة تنتهي بشنقها مشفوعة بلعناته و يخرج لسانه ويسخر منها .!

لقد ندم على خطأه مع تلك الطبيبة وصحبته لرفاق السوء في الغربة والذين دفعوه إلى رهان فاشل سيظل يدفع ثمنه طيلة عمره .!

من عجائب الأقدار

بعد عودة طفلي من المدرسة يضع حقيبته جانباً ثم يأخذ هاتفي ، يحوله إلى وضع " صامت " ثم يبدأ بمشاهدة الأفلام الكرتونية في اليوتيوب ، لقد صارت تأتيني إشعارات كثيرة عن حلقات جديدة من " ماشا والدب " و" توم وجيري " و " مستر بين!. "

اليوم بعد العصر وبعد أن غادرت خالة الطفل المنزل بحثنا عن الهاتف فلم نجده ، ربما وضعته بين الأشياء التي أرسلتها الزوجة لأمها ، اتصلنا بها لترى هل أخذت الهاتف بالخطأ ؟ وبعد أن بحثت في حقيبتها وفي الكيس الذي أرسلناه لم تجده!.

وبدأنا البحث في كل أنحاء البيت ، خلف الستائر ، تحت الطاولات ، تحت البطانيات ، بحثنا في كل مكان حتى في المطبخ والحمام وغرفة الجلوس ، لم نترك شبراً من المنزل حتى فتشناه بدقة ومع هذا فلم نجد الهاتف

المكان الوحيد الذي لم نبحث فيه كانت الغرفة التي ينام فيها صهري " شقيق الزوجة " ولأنه كان نائما فقد هممت أن أقتحم عليه نومه باحثا عن الهاتف ، وقبل أن أقتحم الغرفة سألت الزوجة :

- هل يمكن أن يكون الطفل قد أدخله إلى الغرفة التي ينام فيها طارق ؟

أجابت بثقة :

- لا لأني رأيت الهاتف مع الولد بعد أن دخل طارق الغرفة وأغلقها من الداخل ونام.

المشكلة أني أنتظر صديقا سيأتي إليّ لمناقشة عمل هام ، ويبدو أنه قد جاء إلى جوار المنزل وأتصل ولم أرد عليه ثم عاد من حيث أتى ، أيضا لابد أن أجري اتصالات أخرى هامة ، ومن المؤكد أن الوالدة قد اتصلت بي وقد قلقت عليّ لأني لا أرد عليها.

الهاتف صامت ولذا مهما اتصلنا أو اتصل غيرنا فلن نسمعه ، لا مجال أمامنا إلا مواصلة البحث حتى نجده

تساءلت في نفسي وأنا أضرب كفاً بكف وقد استولت عليّ الحيرة :

- ترى أين سيكون ؟!

- كل يوم يأخذه الطفل وعندما أحتاجه أجده لكنه اليوم اختفى تماماً كأنه تبخر!.

لقد أصابني صداع وإحباط شديد بعد ساعات من البحث عن الهاتف ولذا قررت الجلوس وترك الزوجة تبحث عنه حتى تجده.

أنزوى الطفل في زاوية المكان حزينا فقد وبخته أمه كثيرا لأنه أضاع هاتفي بينما أنا في أشد الحاجة إليه.

نظرت إليه وابتسمت فجاءني وأرتمى في حضني يبكي فقبلته وهدأته وأخبرته أن الهاتف في البيت وفي النهاية سنجده فلا يحزن ، مسحت على رأسه فهدأ وعاد لألعابه ، بقيت أفكر في نمط حياتنا اليوم ، وكيف كانت حياتنا قبل اختراع هذه الهواتف أقرب إلى البساطة والهدوء ؟ والآن صار الهاتف ضرورة لا يستغني عنها إنسان!.

حاولت القراءة أو الكتابة في الكمبيوتر لكن مزاجي كان قد تعكر تماما ، ولذا بقيت أفكر شاردا وليس في ذهني سوى سؤال واحدا :

- ترى أين سيكون الهاتف ؟!

عاودت الزوجة الاتصال بأختها لتتأكد من وجود الهاتف لديها لكنها أكدت أنها لم تجده.

استيقظ صهري من نومه وقام بدوره في البحث عن الهاتف ولكن دون جدوى.

حل المساء ويأسنا من العثور عن الهاتف واستسلمنا للأمر الواقع..

في ذلك المساء هطل المطر غزيراً واتصلت بالوالدة من هاتف الزوجة بدت غاضبة فقد اتصلت مرارا ولم أرد عليها فأخبرتها بضياع الهاتف فهدأت وأكدت :

ـ طالما هو بالبيت فسوف تجدوه.

قرأنا أكثر من ١٠٠ صفحة من كتاب ، وناقشت مع الزوجة قضايا كثيرة كنا قد أجلنا نقاشها إلى أجل غير مسمى ، كما شعرت بهدوء واطمئنان نفسي كبير.

في اليوم التالي وجدنا الهاتف في سلة الدراجة التي اشتريتها للطفل ، لقد وضعه ونسي ووضع فوقه أحد الدفاتر ، ونحن لم يخطر على بالنا أنه سيكون في سلة الدراجة!.

الأهم من هذا كله أنني وجدت ضمن المكالمات الفائتة عدة مكالمات من عاصم عبد السلام ، وهو أعز أصدقائي وكثيرا ما خرجنا سويا ، في ذلك اليوم جاء بسيارته إلى جوار المنزل وأتصل بي أكثر من عشر مرات ، كان يريد مني مرافقته ، ولما لم أرد عليه فقد غادر وحيداً إلى خارج المدينة.

وتساءلت :

ـ لماذا لم يأتِ ويطرق عليّ الباب ؟!

ـ ربما فكر أني مشغول وغادر.

أثناء عودة عاصم بسيارته اقتحم مجرى أحد السيول ولم يستطع الخروج منه ، جرفت السيول سيارته إلى مكان بعيد ، وفي اليوم التالي وجدوه ميتاً داخل سيارته ، لقد حزنت كثيرا على موت صديقي العزيز ، وأثناء عودتي من العزاء كنت شاردا أفكر في أقدار الله ، لو كان هاتفي بجواري وأجبت على اتصالات عاصم لخرجت معه دون تردد ، لكن ضياع الهاتف كان سببا في نجاتي من الغرق معه من حيث لا أعلم!.

الحارس صاحب الكلب

تعودنا في كل ليلة ما أن يأتي منتصف الليل حتى نغط في نوم عميق ، لكن الليلة الأمر مختلف تماما !.

تخيل جاءوا بإنسان إلى جوار منزلك وقاموا بتعذيبه ، ويظل يصرخ ويتألم طوال الليل فهل ستستطيع حينها أن تنام ، أو تجلس في بيتك براحة وهدوء ؟!

بالضبط هذا ما حدث ، لكن مع فارق بسيط وهو أن الذي يتعرض للتعذيب ويصرخ كلب.

دائما ما نسمع الكلاب وهي تنبح في الليل ، هذا الكلب لا ينبح إنه يتعذب ويئن بشكل حزين جدا ، صوته رغم أنه يزعجنا بشكل فظيع الا أنه يقطع القلب ، كأنه إنسان يبكي ويتألم.

صوته قوي ومزعج جدا لنا كأنه مربوط بجوار النافذة ، رغم أننا نسكن في الدور الثالث !.

طفلي ليث الذي كان دائما ما يشاهد برامج الكرتون في الهاتف ، ترك الهاتف جانبا رأيت الخوف في عينيه ، لديه مدرسة في الصباح ، لكنه لم يستطع النوم ، قال:

- كيف أنام وأنا خائف من الكلب ؟

وأضاف :

- هل يضربونه يا بابا حتى يظل يبكي هكذا ؟

- لعله محبوس ويريد الخروج من غرفته ، لا تخف.

اتصلت بالحارس كي أسأله عن قصة الكلب لكن هاتفه مغلق..

قالت الزوجة :

- ربما علق الكلب في الشبك الحديدي الذي يعلو سور الجيران.

فعلا هذا تفسير معقول.

قررت الذهاب لتحريره من الشبك ، سأكسب الأجر من الله بتحريره وسأرتاح من هذا الازعاج المخيف.

حين نزلت إلى الحوش علا صوته كثيرا لكني لم أره ، طرقت باب الجيران فلم يرد عليّ أحد ، بعد قليل جاء حارس منزلهم وأخبرني بأنهم ليسوا في المنزل ،

وأضاف :

- إذا كنت تريدهم لأمر هام فهم في الفندق ، لقد غادروا بسبب إزعاج الكلب.

- لمن هذا الكلب المزعج ؟

- لخالد الحارس ، حبسه في غرفة الحوش ومضى.

-عليه غضب الله.

بحثت عن الحارس فلم أجده ، غرفته مغلقة وكذلك هاتفه !.

عدت إلى الشقة ، صوت الكلب ونباحه الممطوط كمعزوفة حزينة متواصلة أزعجنا وعذبنا بشكل لا يطاق

وحدها الغرفة الصغيرة التي تقع ناحية الشارع إذا أغلقنا بابها بإحكام لا نسمع فيها صوت الكلب ، ولذا فقد انتقلنا كلنا اليها.

نمنا جميعا في تلك الغرفة الصغيرة ، كانت ضوضاء الشارع وأصوات السيارات والمارة أرحم ألف مرة من صوت الكلب المحبوس.

في اليوم التالي بحثنا نحن سكان العمارة عن الحارس لكننا لم نجده ، أقترح البعض أن نكسر باب الغرفة ونطلق الكلب لكن البعض أكدوا على ضرورة إبلاغ قسم الشرطة ليتصرف ونخلي نحن مسئوليتنا ، سألنا القاضي الذي يسكن في العمارة معنا عن حكم القانون فقال :

- الضرر واضح لقد أزعج هذا الكلب السكان وأقلق سكينتهم لكن القسم سيعطي للحارس مهلة قبل التصرف ، سيحتاجون إلى إذن من النيابة.

قلت في نفسي :

- طالما أن سكان العمارة قد اختلفوا وانقسموا ، وطالما فيها إجراءات ونيابة فيبدو أن القضية ستطول.

لقد قررت أن أرحل مؤقتا من الشقة حتى تحل مشكلة الكلب.

في النهاية لن يظل هذا الكلب إلى الأبد ، سيظهر الحارس ويخرجه ، أو سيموت من الجوع ونتخلص من إزعاجه.

ولكي نوفر تكلفة الإقامة في الفندق ذهبت إلى بيت عمي (والد الزوجة) وبقينا ليومين.

عدنا إلى الشقة لنجد الكلب ما يزال يتألم ويصرخ بصوت مبحوح.

- الله أكبر عليك يا خالد أنت وهذا الكلب.

كنا بباب العمارة حين ظهر الحارس فهجمت عليه ولكن الزوجة حالت بيني وبينه.

صرخت فيه :

- ما هذا الذي فعلته فينا ، شردتنا بهذا الكلب المزعج لم يتركنا ننام أو نرتاح ساعة.

الكارثة أن الحارس لم يصدق ما أقول ، وسألني ببرود :

-أسألك بالله أزعجكم ؟ !

قلت وأنا أمسك أعصابي حتى لا اشتبك معه :

- لا على العكس أطربنا بصوته الجميل ، متع أسماعنا وشنف آذاننا ، يا أخي هذا ليس كلبا هذا بلبل يغرد !.

أدرك أن صبري يكاد ينفذ فقال :

- بصراحة هذا الكلب جاء به صديقي من بريطانيا ولكن والده حلف ما يدخل الكلب بيتهم فاضطر صديقي يتركه عندي لفترة مؤقتة حتى يسافر.

وأضاف :

- أرجوكم حاولوا تتحملوا ازعاجه لعدة أيام من أجلي ، صديقي يعطيني كل يوم خمسين دولار لأشتري للكلب همبرجر وهوت دوج وبروست

الان أنا اتغدى كل يوم لحم وأشتري قات فاخر بسبب هذا الكلب ، لقد رميت له بنصف كيلو لحم فلم يأكله ، كل يوم اشتري له برجر هذا كلب مدلل جدا ، لكنه لم يتعود على الحبس ولذا يظل ينبح.

عندما سمع ليث بالبرجر صاح :

- بابا أنا اشتي برجر وبروست.

أجبته مازحا :

- وهل أنت كلب بريطاني حتى تأكل برجر وبروست ؟ !

- هكذا إذن ، لقد بعتنا يا خالد وبالدولار.

- سامحوني ، أنا ظروفي صعبة ليت صاحبي يأخذني معه بريطانيا بدل هذا الكلب، أنا مستعد أنبح كالكلب هو هو هو.

وضحكنا..

وقطع حديثنا القاضي وبقية السكان فأسرع الحارس وأخرج الكلب وأعاده إلى صاحبه وكله ندم وحسرة على أيام العز والدولارات.

ولأول مرة منذ أيام تعود السكنية والهدوء إلى منزلنا.

نهاية التجربة

بعد أسابيع من قدومي من اليمن واستقراري في هذه الشقة بالقاهرة علمت بأن جارنا ناقد أدبي معروف وله إصدارات عديدة فتشوقت لزيارته والاستفادة منه في تطوير مهاراتي في كتابة القصص.

طرقت بابه ففتح لي مستغربا فعرفته بنفسي فدعاني للدخول وبعد شرب الشاي أخبرته بهوايتي في كتابة القصص ورغبتي في تطوير قدراتي الإبداعية فسألني فجأة :

ـ تعرف باولو كويلو ؟

فأجبته :

ـ نعم أعرفه الأديب البرازيلي مؤلف " الخيميائي "

قاطعني :

ـ مشى باولو كويلو ٧٠٠ كيلو متر على قدمه على مدى ٧٧ يوما من مدينة مدريد إلى مدينة سانتياجو دي كومبو ستيلا بإسبانيا فشكلت هذه الرحلة التحول الأكبر بحياته وكتب عنها أول رواياته "حاج كومبو ستيلا.. "

وقاطعته هذه المرة :

- لم أفهم هل تريدني أمشي إلى الإسكندرية مثلا لكي أكتب قصة ؟!

أجابني بهدوء :

- لم أقصد أن تمشي ، أقصد لابد أن تخوض تجربة ، أن تعيش مغامرة ، أن تخاطر ، أن تسافر ، أن تعيش حياة طبيعية بكل ما فيها ولو حتى تتخانق مع البواب وتروحوا القسم ، المهم ألا تنعزل أن تعيش حياة طبيعية لكي تكتب.

شكرته وغادرت..

ورنت في أذني جملة الناقد الأخيرة "أن تتخانق مع البواب" ، فعلا هذا البواب سيئ جدا ويحاول بشتى الطرق أن ينصب علي ويسحب مني أي مبلغ ، مرة لإصلاح المصعد ، ومرة بذريعة خدمات تنظيف المصعد ، ومرة يشكو لي مرض ابنته ويطلب مساعدة ، لا يكاد يمر يوم دون أن يأتي طالبا النقود بأي ذريعة ، لقد نفذ صبري ولا بد أن أخوض أول تجاربي معه!.

غلي الدم في عروقي وأرتفع السكري لدي وقررت المواجهة وليكن ما يكون ، نزلت إليه ، كان يقعد في باب العمارة على كرسيه يرتشف الشاي ويدخن النرجيلة ، وصلت إليه والشرر يتطاير من عيني فركلت النرجيلة حتى تناثرت وسكبت الشاي على رأسه واشتبكت معه ،

طرحته أرضا وأشبعته صفعا وركلا لولا أن صاح فهرع إلينا أربعة من البوابين خلصوه مني فحاولت مواجهتهم فتكاثروا علي وضربوني بكل ما بهم من قوة وأنا أقاوم ومن حسن حظي أن وصل ثلاثة من السكان من اليمنيين فخلصوني منهم وحملوني إلى شقتي وهو يمطرنا بالشتائم المقذعة ويتوعدني بالسجن والعقاب.

عندما فتحت الزوجة لي الباب ورأت ما حل بي من الدمار الشامل صرخت وصرخ الأطفال فطمأنتهم وتحاملت على نفسي وأنا أنزف وذهبت إلى قسم الشرطة واتهمت البواب بأنه قد أعتدى علي وضربني مع مجموعة من أصدقائه ، فسألني الضابط :

ـ معك شهود يا أستاذ ؟

ـ أيوه معي شهود ثلاثة من اليمنيين

وعاد الضابط يسألني :

ـ ما فيش مصريين شهود ؟

هززت رأسي نافيا فتحدث :

ـ أصلا سيطعن في شهادة أصحابك لأنهم بلدياتك ، سيقول تعصبوا معك.

وسكب لي الشاي قائلا :

- أنت أول يمني يعمل مشاكل مع البواب

وزلت لساني :

- أصلا أنا أكتب قصص وأردت أن أخوض التجربة.

استغرب الضابط :

- كيف يعني تخوض التجربة ؟!

صمت فقد أدركت أنني تورطت.

فعاد يسألني :

- يعني تخوض التجربة تقوم تضرب البواب علشان تكتب قصة صح ؟!

وضحكت رغم بي من الألم والأوجاع :

- أيوه صح ضربته لأجل أكتب قصة لكنهم تكاثروا علي وضربوني.

وأضفت :

- والبواب شخص نصاب وحرامي وكل يوم عايز مني فلوس.

أقترح الضابط أن يأتي بالبواب ونعمل صلح ونسحب المحضر وهو ما حدث.

وبعد أيام بعد أن بدأت جروحي تلتئم بدأت أكتب القصة ولسوء حظي لم أتمكن من الكتابة.

وقررت خوض تجربة جديدة.

خرجت أرتشف الشاي بالبلكونة فرأيت في البلكونة المقابلة لنا فتاة قدرت عمرها بحوالي ١٧ سنة وقد جلست على كرسي وبيدها كتاب تقرأه وقلت لنفسي :

- هي هذه التي يخوض معها الكاتب تجربة مش يتضارب مع البواب!.

وناديتها :

- بس بس بس بس

التفتت إلي :

- في إيه ؟

وأضافت :

- أنت بتنده على قطة ؟ عايز إيه ؟!

سألتها :

- أنت اسمك إيه ؟

- مها

ـ وأنت اسمك إيه يا عمو ؟

ـ عمو من أولها لا أنا زعلت منك

ـ أنت عايز إيه ؟

ـ عايز أتعرف وأخوض التجربة

أشارت بيدها ناحيتي قائلة :

ـ ما بلاش يا عمو

لم أفهم وأصررت على طلبي :

ـ نتعرف على بعض ونحب بعض

واصلت الإشارة بيدها نحوي :

ـ ما بلاااش

ـ لا أنا مصمم أخوض التجربة

ـ أنت بتهزر يا عمو صح ؟

ـ لا أنا مصمم أخوض التجربة

ولم أكمل تلك الجملة حتى أحسست بيد غليظة تمسك بي من الخلف وتسحبني إلى الداخل ، لقد كانت زوجتي تقف خلفي ونفذ صبرها فألقت القبض علي ورغم أني أقسمت لها الأيمان المغلظة أن غرضي شريف وأنني فقط أريد

خوض تجربة حب لأكتب قصة قصيرة ، وإذا طالت قصة الحب ممكن أكتب رواية ، إلا أنها لم تستوعب الأمر واشتبكنا في معركة حامية الوطيس وكسرنا نصف أدوات المطبخ ، وبقينا بعدها لأيام نعالج جروحنا.

بعد أيام خرجت أتوكأ على عكاز وعندما رأتني مها وزميلاتها وهن عائدات من المدرسة أشارت لهن نحوي وانفجرن بالضحك ، إحدى البنات سألتني بسخرية :

- إزيك يا عمو العاشق ؟!

جرجرت نفسي ومضيت بألآمي وضحكاتهن تلاحقني كرشقات حجارة.

والمشكلة أنني لا كتبت قصة قصيرة ولا سلمت من الضرب.!

مجنون القصة

بعد أن تناولت الغداء في المطعم فوجئت بشاب من العاملين في المطعم يقف أمامي ويسألني وهو مضطرب :

- أنت الأستاذ محمد مصطفى العمراني كاتب القصص؟

- نعم.

صافحني بحرارة وقد أكتسى وجهه بفرحة عارمة ، وحين طلب مني الانتظار لثواني قلت : ربما يريد التقاط صورة معي ، من المؤكد أنه من القراء القلائل للعبد لله ، لا أخفيكم لقد شعرت حينها بسعادة غامرة.

أخيرا وجدت من يقرأ لي - يا سلاااام صبرنا ونلنا !.

جاء بكأسين شاي بالنعناع.

- تفضل يا أستاذ.

- شكرا.

تناولت الشاي وبدأت أرتشف.

قلت في نفسي : أخيرا بدأت أجني ثمار النجومية.

وبدأ يعرفني بنفسه :

- أنا عبده سعيد مدهش ، مباشر " نادل " في المطعم منذ سنتين ، اقرأ لك دائما ، تعجبني القصص التي تكتبها ، أحيانا أضحك حتى أكاد أشترغ ، وكم تمنيت أن ألقاك من قريب.

ومضى يذكرني بالقصص التي كتبتها.

ما أدهشني أنه يحفظ بعض قصصي كلمة كلمة !.

حييته على إعجابه بما أكتب ، وتفاعله الكبير مع قصصي

- بس...

- بس إيش ؟

أحسست بأنه يريد أن يقول لي شيئا..

-بس يا أستاذ لي عندك طلب..

قلت في نفسي : ربما يطلب مساعدة مالية ولذا لابد أن أقطع عليه الطريق قبل أن يحرجني فأعطيه ما في جيبي وأعود إلى البيت مشيا على الأقدام.

- شوف يا أخي نحن معنا الصيت فقط...

قاطعني :

- أريد قصة..

- لم أفهم ؟ قصدك تريدني أكتب قصة جديدة ؟

- لا أريد قصة جديدة ، أريد قصة من القصص المنشورة

- قصدك أرسل لك مجموعاتي القصصية pdf والا تريد كتاب ورقي ؟

- لا أريد قصة من قصصك أجرب فيها حظي.

وأضاف :

- سأرسلها باسمي لمسابقة للقصة القصيرة ؛ وأنا متأكد أنني سأفوز في المسابقة ، وحين أستلم الجائزة سأعطيك نصفها.

لم أصدق ما يقول ظننته يمزح معي ، مؤكد هناك كاميرا خفية ، أو مقلب فكاهي.

توقفت عن شرب الشاي ، لملمت حاجاتي وقررت الذهاب فليس لدي الوقت لهذه المقالب السخيفة.

لكنه وقف أمامي وقد توتر وأحمر وجهه واستعد لمواجهتي وقد اتخذ وضعا قتاليا.

دفعته من طريقي قائلا :

- يا شيخ روح قال أجيب له قصة !.

أمسك بالطبق الذي يحمله وهم بضربي به ، دفعته بقوة وقد تأكدت بأنه شخص غير طبيعي.

سقط على الكراسي المجاورة وعاد يريد الاشتباك معي من جديد ، وحينها أسرع اثنان من عمال المطعم وأمسكوا به ودفعوه بعيدا عني.

غسلت يدي بسرعة ودفعت حسابي ومضيت.

مرت أيام ونسيت ذلك الشاب المجنون وبينما كنت في إحدى المولات التجارية إذا بي أجده أمامي ، كأن الأرض قد انشقت وصعد منها ، واندفع يصافحني بحرارة ويقبل رأسي ويعتذر لي عما بدر منه في المطعم قائلا :

- أنا محكم لك يا أستاذ ، الذي تأمر به رقبتي فداك.

- خلاص يا أخي ما فيش حاجة..

سامحته..

وحين هممت بالمضي أوقفني قائلا :

- والقصة ؟

- أي قصة ؟ !

- القصة التي وعدتني لأشارك بها في المسابقة..

سألته وقد غضبت من كذبه :

- متى وعدتك ؟ !

وعدنا للتوتر من جديد !.

لكنني أمسكت أعصابي وتمالكت نفسي بكل قوة ، لا أريد مشكلة مع شخص مجنون وفي مكان عام.

قلت له وأنا أتكلف ابتسامة ساخرة :

- خذ القصة التي تعجبك وشارك بها في المسابقة حلال عليك.

- أريد القصة التي كتبتها عن ذهابك لتحرس حقل القات ليلا أنت وأخوك ثم مضغتم القات وأطلقتم الرصاص على أشجار القات حين تخيلتم أنها اللصوص ، هل تذكرها ؟

- نعم أذكرها.

شكرني وقد أجتاحته فرحة غامرة وصافحني بحرارة ، مضيت وقد أيقنت بأنه مجنون رسمي.

لم يمض سوى دقائق حتى لحق بي وبيده ورقة وقلم قائلا:

- اكتب لي تنازل رسمي عن القصة ووقع عليها.

دفعته جانبا وقد توترت وأحسست بأن السكري قد ارتفع لدي وأن الدم يغلي في عروقي.

- يا شيخ روح قال اكتب له تنازل عن القصة!.

رمى بالورقة والقلم وأخرج هاتفه قائلا :

- خلاص أصورك بالفيديو وأنت تتنازل عن القصة.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. روح لك مني .. خيرة الله عليك.

تجمع حولنا بعض الناس ، دفعه أحدهم بعيدا عني لكنه عاد وقد قرر الاشتباك معي ، توقفت بعض النساء عن التسوق وظللن ينظرن بفضول إلينا ، أخرجت احدى البنات هاتفها وبدأت تصور فيديو.

لقد تكهرب الجو !.

من حسن حظي أن جاء أحد الشباب الذين أعرفهم صافحني وسألني عما يحدث فأوضحت له الأمر فأمسك بالشاب ودفعه بعيدا عني وهدده بأنه إن تعرض لي مجددا فسيتصل بالشرطة ويسجنه ، وحينها مضى وهو يشتم ويهدد ويتوعد وأنا غير مصدق بأنني قد نجوت منه .!

الوهم الجميل

منذ إرسال مشاركتي إلى مسابقة الملتقى للقصة القصيرة بالكويت وأنا أتخيل أنني قد فزت بالجائزة الأولى ال ١٠٠ ألف دولار.

مشاريع وخطط وأفكار عديدة بنيتها على هذه الجائزة.

قلت للزوجة :

- إذا فزت بالجائزة سأشتري أرضية في ضواحي المدينة وأبني عليها منزلا يريحني من كابوس الإيجار.

وأضفت :

من المؤكد سيبقى لي عدة ملايين خاصة إذا سلمنا من طلبات الأهل والأقارب ، حينها سأسافر إلى أوروبا ، سأذهب إلى البوسنة في رحلة سياحية أغير لي جو عدة أسابيع..

قاطعتني :

- ستسافر لوحدك وتتركنا هنا ؟!

- نعم لوحدي ، أريد أن أكون خفيفا منطلقا..

قاطعتني ثانية :

- قسما بالله رجلي على رجلك.

تماسكت أعصابي وقلت لها :

- هي أسابيع فقط وسأعود بعدها إليكم محملا بالهدايا.

قاطعتني مجددا:

- ستعود إلينا محملا بزوجة بوسنية شقراء من أخواتك في الإسلام هناك ، ستهديني طبينة ، هذا هو جزاء صبري معك يا خاين يا ناكر العشرة ، أول ما ربي فتح عليك تزوجت.

وانهارت باكية وسط دهشتي واستغراب الأطفال ، وأسرعت أقسم لها أنني لن أتزوج عليها ولا أفكر بالزواج أبدا فهدأت قليلا ثم قالت :

- تأخذني معك رجلي على رجلك.

- خلاص ستسافرين معي وأمري لله.

- والعيال لن اطمئن عليهم وهم هنا ، لا أركن على أحد

- والعيال سيسافرون معنا.

- البيت أهم من كل شيء.

وتخيلت نفسي وقد بنيت لي فيلا صغيرة بحوش وفي الحوش مسبح ، وبجوار المسبح كراسي ومظلات ،

وبعض الألعاب للأطفال في ركن الحوش ، سأغرس بعض الورود ، الخزامى أعشق الخزامى ، رائحته ومنظره شيء خرافي ، لكن هل توجد هنا شتلات خزامى ؟

ليست مشكلة ؛ النقود ستأتي بها حتى من هولندا.

الحمام ، سأفصل لي حمام خاص ، أهم شيء البانيو لابد أن يكون كبيرا ، أكبر من البانيو الذي في حمامنا بكثير ، سأكون في المساء أملأه بالماء الساخن ، مش ساخن زيادة، وسط ، وسأضيف إليه الزيوت العطرية ، وأستحم بمزاج ، سآخذ وقتي ، لن يزعجني أحد في حمامي الخاص، سأدلل نفسي ، سأعيش.

وتساءلت في نفسي :

- هل أعيش أنا الان ؟

- الحمد لله على كل حال.

- في الحقيقة أنا الان لا أعيش الحياة التي أحلم بها ، بل لا أعيش دون هموم ، أظل في صراع قاسي لتوفير أساسيات الحياة ، في الكثير من الأحيان أبقى دون علاج للسكري.

وبدأت أرى الشقة التي نسكنها كئيبة مظلمة وجدرانها كالحة لم ندهنها منذ سنوات ، والطفل يشخبط بالأقلام على الجدران ، ويلصق رسومات وصور تزيد الجدران قبحا ، الفرش قديم يحتاج إلى تغيير عاجل ، غرفة النوم هذه

مكانها الطبيعي مكب النفايات لكن ماذا أصنع هذا هو الواقع!

في الفيلا الوضع سيختلف ، سيختلف تماما ، إذا مللت من الفيلا ، طبعا لن أمل من الفيلا لكن سبحان الله كل شيء جائز ، إذا مللت من الفيلا سأذهب للحوش ، نسيت أن أقيم في الحوش ملعبا صغيرا ، الرياضة ضرورية ، سنزرعه كملاعب الجولف بحشائش خضراء صغيرة لكننا سنحتاج إلى عامل ليهتم بالحوش ، لا مشكلة ، الأهم أن يقوم بعمله، لابد أن يكون عجوزا وعلى خلق ودين.

على خلق ودين .. هل سأزوجه بنتي أم سيعمل بالحوش ؟!

لا داعي لهذا العجوز وجوده في غيابي سيقلقني.

المسبح الذي في الحوش لابد أن أجهزه بطريقه تسمح بتسخين المياه فيه حتى إذا أردت السباحة فيه أسبح في ماء دافئ.

قلت للزوجة :

- ضروري نجهز المسبح بطريقة ... قاطعتني :

- أي مسبح ؟

- المسبح الذي في الحوش.

- أي حوش ؟

- حوش الفيلا التي سنبنيها لما أحصل الجائزة.

- مش ضروري المسبح.

- أهم حاجة في الحوش المسبح.

- لو عملنا المسبح الطفل ممكن يغرق فيه ، سأظل قلقة عليه إذا خرج للحوش.

- لا أنا مصمم على المسبح.

- والله ما تعمل مسبح وتقلقني على ابني.

- والله لأعمل مسبح غصبا عنك.

لقد ركبت رأسها وعاندت ، انها تتحداني !.

وأشتد النقاش بيننا وتحول إلى مشادة ارتفعت فيها الأصوات وكادت تتطور إلى اشتباك فتركت لها الفيلا قصدي الشقة وغادرت وأنا أقسم يمين لأعمل المسبح فهو أهم شيء في الحوش !.

نـهاية معلم

عندما عاد المعلم مقبول حسن من المدرسة في الظهيرة كان في غاية الإرهاق والجوع ، فمنذ الصباح لم يذق لقمة!.

فتح باب منزله ودخل ، لم يجد زوجته وأطفاله ، شعر بارتياح لمغادرتهم إلى منزل عمه ، على الأقل هناك سيجدون الطعام الذي يشتهون.

لم يتسلم راتبه منذ أشهر ، وحتى السلة الغذائية التي كان يستلمها من المنظمة لم تصل منذ شهرين ، طرق باب جاره، هو الآخر لم يكن بالمنزل.

لم يدخر وقتا فالجوع قد أصابه بصداع حاد ، ذهب إلى منزل مدير المدرسة ، لحسن حظه أنه جاء وعند المدير بعض الضيوف ، ولذا فقد ضمن وجبة غداء فاخرة ، تناول الطعام معهم ، ثم تناول الحلوى وارتشف الشاي كأنه أحد الضيوف.

عندما شرعوا في مضغ القات رمى له المدير بحزمة من القات.

مع نشوة القات نسي همومه وبدأ يتحدث حول الأحداث والمستجدات في المنطقة كأنه محلل سياسي في قناة إخبارية !.

زادت نشوته فحدثهم عن مشاريعه وطموحه وخططه المستقبلية وكأنه رجل أعمال يمتلك الملايين!.

في المساء عاد إلى منزله وإلى واقعه فتذكر أنه كان عليه أن يذهب إلى البحر مع جاره الصياد ليضمن طعام الغد ، لقد نسي الأمر !.

منذ أسابيع ، يعود من المدرسة يتناول طعامه ، ثم يمضغ القات لمدة ساعة ثم يغادر إلى البحر ، مساعدته لجاره الصياد على قاربه وفرت له مبالغ زهيدة بالكاد تفي بشراء كيلو دقيق ونصف كيلو أرز والقليل من الزيت والبهارات وبعض الخضار ، وحزمة صغيرة من القات.

قبل أيام كان الصيد وفيرا ، وحينها زاد نصيبه من النقود فعاد لزوجته بالحذاء التي ظل لأشهر يعدها به.

وحين رأى الفرحة في وجهها تساقطت دموعه وتذكر أيام الرواتب والعز ، كان يشتري لأطفاله الملابس الفاخرة ويخرج بهم كل خميس إلى الحديقة ويتناولون العشاء في أفضل مطعم بمدينة الحديدة.

من جديد هاجمه صداع حاد بحث في البيت عن حبة مسكن فلم يجد ، ذهب إلى الصيدلية وطلب شريط بندول.

فاجأه الصيدلي بوجه آخر :

- أستاذ مقبول لك أشهر ما حاسبتني حق العلاج الذي تأخذه.

- أول ما يسلموا الرواتب .. قاطعه الصيدلي :

- خلاص وقفنا الدين.

- الصداع سيقتلني خاف الله هب لي حبة بندول.

نهض من كرسيه وناوله حبة بندول وجرعة ماء.

عاد إلى منزله ، بعد أن أكمل صلاته شعر بالجوع ، فكر بالذهاب إلى بيت عمه لكنه تذكر والدة زوجته التي تكرهه بشدة وتشكوه لكل من يعرفها :

- جوع بنتي.

منذ انقطعت الرواتب قبل سنوات وهي تشير على ابنتها بأن تضغط عليه ليترك التدريس ويشتغل ، لكنه أصر وتمسك بتعليم التلاميذ ولو مجانا.

تحسس جيوبه فلم يجد حتى ثمن كعكة ، خرج وطرق باب جاره الصياد ، خرجت الطفلة :

- يا بتول أبوك قد رجع ؟

- لا ما رجع.

- طيب قولي لماما تشوف لي الف ريال سلف.

غابت الطفلة لثواني ثم عادت :

- تقول لك والله ما معها ريال.

عاد إلى منزله ، بحث في المطبخ عن أي شيء يأكله فلم يجد.

شرب جرعة كبيرة من الماء ثم قام يصحح دفاتر التلاميذ ، مضى الوقت سريعا وهو يصارع الجوع ، عند منتصف الليل تمدد في فراشه ونام.

في الصباح حاول النهوض من فراشه لكنه شعر بحمى شديدة وصداع ، حاول النهوض مجددا لكنه لم يستطع ، تحسس هاتفه ، أراد الاتصال بزوجته لكن هاتفه بلا رصيد، حاول أن يستلف ١٠٠ ريال لكنه تذكر أنه قد استلف من الشركة من قبل !.

تحامل على نفسه بقوة ثم نهض ، ذهب إلى منزل جاره ، طرق الباب فلم يرد أحد يتساءل باستغراب :

- هل خرجوا أم انهم نيام ؟

طرق منزل جاره الآخر ، لكنه تنبه أن الباب مقفل من الخارج.

تماسك وعاد إلى منزله.

حدث نفسه :

- عندما أغيب يتصل المدير ، مؤكد سيتصل وحينها سأطلب منه أن يأتي لإسعافي.

ما كاد يصل إلى فراشه حتى ارتمى من شدة التعب والدوخة.

نام مجددا وحين استيقظ لم يدر كم مر عليه من الوقت ، كانت الحمى تكوي جسده ، الصداع يشل رأسه ، لم يستطع النهوض ، صار يهذي ، ينام ويصحو ، والوقت يمر وهو لم يعد قادرا على النهوض ، كوابيس مخيفة تحاصره ، يرى وحوشا تقترب منه ، يفر منها وهو يلهث ويتعثر ليسقط في هاوية مظلمة فيجد العشرات من الوحوش تحاصره من جديد ، يحاول الفرار ،

يصرخ فلا يجد أحد ، تهاجمه الوحوش بضراوة وتمزق جسده وتلتهمه.

مضت أيام ولم يره أحد ، بعد أيام عادت زوجته إلى البيت لتجده في فراشه جثة هامدة لكن القلم ما يزال بيده وبجواره دفاتر التلاميذ .!

ليلة مقتل عباس غالب

قبيل مغرب تلك الليلة كنت عائدا من عرس أحد زملاء الدراسة ، هبطنا من ذلك الجبل ، في الطريق وقد بلغت نشوة القات الفاخر ذروتها قررت قتل عباس غالب زميلنا الذي كان يضايقني في الفصل ، قلت لأخي الذي يرافقني :

- سأقتل عباس غالب..

توقف عن المشي وسألني :

- إيش قلت ؟!

- سأقتل عباس غالب ، والله ما يمسي هذه الليلة على قيد الحياة.

- ما فعل بك عباس غالب ؟ !

- نسيت زمان أيام الدراسة كيف كان يسرق كتبي وأقلامي، نسيت عندما ركل الكرة الجديدة التي اشتريناها فعلقت في رأس الشجرة ثم انفطرت ؟!

- كان مجرم لكن....

- لكن المجرم نهايته القتل

شعرت بأن أخي ما يزال متردد فصارحته :

- اذا كنت تخاف لا تذهب معي.

- بس حرام معه أطفال صغار و...

- أطفاله لهم رب يتولاهم..

وصلنا نبع الماء وقت أذان المغرب وضعنا بنادقنا وأكياس القات جانبا ثم قمنا نتوضأ ونصلي ، إلى أي جهة توجهنا ؟ لست أذكر !.

بعد الصلاة هدأت قليلا ، لكن فكرة قتل عباس غالب لم تغادر رأسي بعد.

قلت لأخي :

- لن أقتله سأجرحه بالرصاص ليرقد في المستشفى لأشهر.

وأضفت :

- لقد رحمته من أجل الأطفال فقط.

واصلنا السير باتجاه منزلنا وعدت إلى مضغ القات ، الليل يهبط ببطء ونحن نحث الخطى نحو البيت الذي بدا بعيدا رغم أننا نسرع مخافة أن يعم الظلام الحالك فنضل طريقنا إلى البيت فلم يكن لدينا أي كشاف أو بصيص ضوء.

الظلام يغطي كل ما حاولنا ، ظلام حالك جعلنا نتعثر في طريقنا ، وقعت في حفرة كانت في الطريق ، واصطدم أخي بشجرة سدر مزقت أشواكها ثيابه ، لكننا واصلنا المسير.

لقد مشينا كثيرا لكننا لم نصل إلى البيت !.

وعاودنا المشي وفجأة أطل القمر خلف السحاب فوجدنا أنفسنا قد اتجهنا جنوبا حتى وصلنا إلى إحدى التباب العالية، هبت نسمة هواء باردة ، كانت القرية تبدو بعيدة ، أضواء القناديل فيها تبدو كالنجوم التي تنام على الجبال

توجهنا نحو المنزل ، بعد نصف ساعة لم نصل إلى المنزل، لقد وصلنا إلى حقول الذرة التي نمتلكها ، قررنا أن نستريح قليلا ثم نواصل المسير.

لم نكد نستريح قليلا حتى رأيته ، رأيت عباس غالب يقف وسط حقلنا ، هذا الوقح لم يكتف بما فعله معنا في طفولتنا لقد جاء ليسرق الذرة !.

همست لأخي :

- رأيته ؟

- من الذي رأيته ؟

- عباس غالب.

- لا لم أره.

أشرت إلى عباس الذي يظهر وسط الحقل إذا ظهر ضوء القمر ويختفي إذا غاب.

وعدت أساله :

- هل رأيته ؟

- نعم رأيته.

صوبت سلاحي نحو عباس وأطلقت النار ، شقت الرصاصة سكون الليل ونبحت كلاب في القرية ، لكن عباس ما يزال واقفا ، انه يتحداني !.

أطلقت الرصاصة الثانية والثالثة فسقط أخيرا.

قررت أن نتركه مضرجا بدمه حتى الصباح ، حتى يأتي الناس ويرونه متلبسا بجريمة سرقة كيزان الذرة.

عدنا باتجاه المنزل ونجحنا هذه المرة في الوصول إلى المنزل.

بعد أن تناولت العشاء سألت أمي :

- هل تعرفين زوجة عباس غالب وأطفاله ؟

- نعم أعرفهم مساكين يرحموا الله.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

- ماذا حدث له ؟

- لا فقط مجرد سؤال.

أردت عدم إزعاجها ، أعرف أمي لو أخبرتها أنني قتلته فلن تسكت ، ستصيح وتصرخ وتولول ، وربما تصاب بالسكتة القلبية.

كنت في غاية السعادة بعد أن انتقمت من خصم الطفولة وأشفيت غليلي منه.

قبيل الظهر كنت نائما عندما جاء أخي وهزني بقوة لأنهض فزعا أساله :

- هاه هل جاء العسكر وعرفوا الحقيقة ؟!

- لا لقد رأيت عباس غالب في السوق.

- متأكد ؟

- متأكد ١٠٠ %

- ومن هو الذي قتلناه ؟ !

أسرعنا نجري نحو الحقل لنرى الضحية الذي قتلناه البارحة

لكن عمي كان قد سبقنا إلى الحقل ، وعندما وصلنا كان يصيح غاضبا :

- كل مرة أثبت هذه الفزاعة في مكانها وسط الحقل لكن يعلم الله من يأتي ويسقطها ؟ !

نـهايـة الجشع

منذ الأمس والطفل يسعل ، في البداية لم نعر الأمر اهتماما، وحين تواصل سعاله ذهبت إلى الصيدلية واشتريت الدواء، نعطيه الجرعات المقررة بانتظام لكنه لم يتحسن !.

في هذه الليلة وبعد منتصف الليل تفاقم الأمر ، صار يسعل بقوة حتى يكاد السعال يقصم ظهره ، لا تمر دقائق دون أن يسعل حتى شحب صوته وأحمرت عينيه وشحب وجهه ، توقفنا عن كل شيء وأعطيناه كل اهتمامنا فهو طفلنا الوحيد.

قالت أمه:

- اتصل الان بالطبيب.

- لكن الوقت متأخر.

- الحالة طارئة وتستدعي الاتصال.

اتصلت بالطبيب وشرحت له حالة الطفل فقال :

- واضح أن لديه تحسس حاد في الحلق وأعلى الصدر ، ولابد من مضاد حيوي بجوار التوسيفان ، خذ ورقة وقلم واكتب: كلامكس ٤٠٠/ ٥٧.

وأضاف :

- هذا مضاد حيوي ممتاز اعطيه ٥ مل بالصباح و٥ مل بالمساء وواصلوا استخدام العلاج.

أخذت الورقة وغادرت البيت باحثا عن العلاج ، كل الصيدليات مغلقة في هذا الوقت ، وفي صيدلية المركز الطبي المجاور لنا قال الصيدلاني :

- للأسف هذا العلاج غير موجود ، ولكن البديل موجود وهو " أوجمين " نفس التركيبة.

- لا أريد العلاج نفسه.

هممت بالمغادرة فدوت غارة شنها طيران التحالف على مواقع قريبة منا.

قال الصيدلاني :

- هذا العلاج لن تجده هذه الأيام الا في صيدلية ابن حيان بالزبيري ، خذ الأوجمين فهو نفس التركيبة.

وأضاف :

- نحن في الليل والوضع طوارئ أمنية ، أين ستذهب الان ؟

كدت أعود إليه لكنني قررت مواصلة البحث عن العلاج حتى أجده.

بحثت في كل الشوارع المجاورة ولكن دون جدوى ، وفجأة أقبل نحوي طقم عسكري وتوقف بجواري قفز ثلاثة من المسلحين وأوقفوني، صاح أحدهم من داخل

- ما تفعل ذلحين في الشارع ؟

- ابحث عن علاج طفلي مريض والطبيب كتب لي هذا العلاج.

ناولته الورقة فأشار إليهم :

- فتشوه

فتشوني ولم يجدوا معي شيئا.

- بطاقتك

أعطيته بطاقتي.

- تلفونك

أعطيته هاتفي ، وحينها اتصلت الزوجة فأعاده لي :

- جاوب وأفتح السماعة.

جاوبت وفتحت السماعة.

صاحت في :

- لقيت العلاج الولد قتله السعال أين أنت ؟

- أبحث عن العلاج ما وجدته والطقم أوقفني.

- تمام خلهم يوصلوك لأقرب صيدلية فيها العلاج.

صاح في قائد الطقم :

- سنوصلك للبيت الوضع الان خطر.

أوصلوني إلى باب العمارة ومضوا.

عدت بدون العلاج ومن قرب الباب سمعت سعال الطفل فأحسست بالألم يجتاحني من جديد.

اتصلت بأمي واخبرتها بحال الطفل ، أشارت علينا بأن ندهن صدره ورقبته بزيت الزيتون والشحم ونغطيه جيدا ، دهنا صدره ورقبته وغطيناه جيدا فنام ، فرحنا لأنه تعافى لكن لم تمض دقائق حتى عاد الطفل للسعال، سعال حاد مصحوب بأنين ، تبخرت فرحتنا وعدنا للقلق.

أنظر للطفل كأني مقيد لا أملك الا الدعاء ، لم أعد اتذكر هل تناولت العشاء أم لا ، أشعر بجوع ولكن ليس لدي شهية للطعام.

الزوجة تبدو في غاية الفزع والخوف على الطفل ، وحين يتواصل سعاله الحاد تمسك بخناقي وتهزني بعنف:

- الولد سيموت ، تحرك.

أحاول تطمينها وفي داخلي خوف ورعب لا يعلمه الا الله :

- لا تخافي ولا تفزعي الولد هو مجرد سعال سينتهي قريبا ولن يحدث شيء بإذن الله.

الوقت يمضي ببطء شديد ، الساعة الان الثالثة صباحا

ذهبت للوضوء والصلاة ، أتضرع إلى الله بأن يشفي ولدي.

بدأ سعاله يخف ومع آذان الفجر غادرت المنزل للصلاة في الجامع والبحث عن العلاج.

بعد الصلاة كان الصبح قد بدأ يتنفس أوقفت دراجة نارية وانطلقت إلى صيدلية ابن حيان ، أخذت العلاج وعدت إلى البيت.

أعطيته أول جرعة ، سعل بعدها عدة مرات ، ثم تباعدت مرات سعاله ، واصلنا العلاج فتوقف السعال ، ما عدا وقت النوم.

بعد ثلاثة أيام توقف السعال تماما وتعافى الطفل ، وحين عاد للعب والشغب ، شعرت كأن جبلا ثقيلا قد انزاح عن صدري ، لقد ذهبت الأيام القاسية بكل ما فيها من مخاوف وسهر وهم.

بعد أيام من تعافي الطفل اضطررت للسفر ، كنت في غاية الطمأنينة فالطفل بخير وكل شيء على ما يرام لكن ما حدث ما لم يخطر لي على بال .

لقد بدأ الطفل يسعل وحينها خافت أمه وأسرعت بنقله إلى مركز طبي وهناك وبمجرد أن سمعها الطبيب تشكو حالته ، وبدون فحوصات تخص حالته قرر له كمية من الأدوية التي لا داعي لها ، كان الطبيب يريد صرف أكبر عدد من الأدوية لينال عمولته من الصيدلية ، بعد أيام من تناول الطفل لكل تلك الأدوية مرض فجأة ثم مات !

مواطن صالح

في تلك الليلة هجم عليّ أرق غريب حاولت النوم بشتى الطرق والوسائل تقلبت في الفراش ، صليت ركعتين وقرأت الأذكار والمعوذات ، غرقت في استغفار متواصل ولكن النوم صار حلما عصي المنال ، يا الله أنا الذي كنت أنام مثل الثور المذبوح كيف خاصمني النوم هذه الليلة ؟!

تساءلت بيني وبين نفسي :

ـ ماذا أكلت ؟

ـ وماذا شربت حتى تغير حالي ؟

وبعد أن تذكرت كل تفاصيل يومي وجدت أني لم آكل أو أشرب ما يمكن أن يسبب لي الأرق .!

ومضى الوقت وأنا أفكر وأتساءل رغم أن لدي في الصباح ست حصص في المدرسة التي أعمل فيها .

وقبيل الفجر نمت ولم أستيقظ إلا على قرع مدير المدرسة المتواصل لباب غرفتي لأصحو مذعورا ، توضأت وصليت الفجر ولبست ثيابي على عجل ثم خرجت للقاء المدير ، وقبل أن أعتذر له عن تأخري النادر سبقني بالحديث قائلا :

- لست ملزم بالتدريس اليوم لقد صدر أمر بنقلك إلى مدرسة أخرى.

صعقني الخبر واجتاحني شعور بالحزن على فراق هذه المنطقة الرائعة وأهلها وزملائي من المدرسين وتلاميذي ومع هذا فقد صدر القرار وانتهى الأمر وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أنا شخص فضولي أحشر أنفي في كل شيء ، وقد حرضت أبناء المنطقة على انتخاب شيخ جديد بدل هذا الشيخ الذي لم يعمل للمنطقة شيئا سوى ما يجمعه من المواطنين من إتاوات وأموال ويأكلها دون مقابل.

حرضت على الشيخ وجاء الرد سريعا ، نقلي إلى منطقة أخرى والتخلص مني ، حزمت حقيبتي وجمعت أشيائي ، وأخذت أوراق تكليفي من الإدارة ، وودعت الزملاء ومن لقيت من التلاميذ في طريقي وغادرت بحزن كبير إلى المنطقة التي سأدرس في مدرستها.

ركبت مع أول سيارة مرت بالطريق ، لقد اجتاحني الحزن ولكنني تماسكت وقلت في نفسي :

- ربما أجد المنطقة التي سأذهب إليها أروع من هذه المنطقة ويعوضني الله خيرا في كل شيء ، صحيح ربما ، كل شيء جائز ، وعموما سأضع في بالي أسوء الاحتمالات وربنا يختار لي ما فيه الخير.

ومنذ وصولي إلى تلك القرية النائية في أقصى الريف كان أول شيء أسمعه هو : أحمد حمود ، تردد هذا الاسم كثيرا على ألسنة الناس حتى أنني ظننت أنه الشيخ الأكبر في المنطقة ، ولكنني علمت أن الشيخ شخص آخر فدفعني الفضول إلى سؤال صاحب البقالة الصغيرة عن أحمد حمود فرمقني بنظرة نارية قائلا :

ـ أعوذ بالله أعوذ بالله !!

قلت له :

ـ طالما تعوذت من هذا الرجل فيبدو أنه ألعن من الشيطان.

رد عليّ بعد أن تنهد :

ـ نعم ألعن من إبليس أحذر هذا الرجل يا أستاذ.

وجدت المنطقة قريبة من المنطقة الأخرى لكنها تفتقر للخدمات بصورة أكثر والكل يشكو ويحذر من أحمد حمود!

ـ يا الله من يكون هذا الرجل النحس ؟!!

دفعني فضولي للسؤال عن الرجل وكل من سألته عنه شتمه وحذرني منه ، وعلمت في اليوم التالي أن أحمد حمود أسعف بسيارته رجل لدغه ثعبان بعد منتصف الليل إلى أقرب مركز صحي في المنطقة المجاورة ، ولو تأخر عن إسعافه لمات الرجل ، فتعجبت كثيرا من قيام هذا الرجل بعمل نبيل كهذا رغم ما يقال عنه .!

وبعد بأيام قام أحمد حمود بالصلح بين متخاصمين ولولاه لقامت معركة وسالت الدماء ، هكذا قال مدير المدرسة الذي لا يكف عن شتم أحمد حمود ، وسمعت أحد أبناء القرية يقول :

ـ أحمد حمود دفع لأخي ولعشرة من شباب القرية تكاليف الدراسة بالجامعة في المدينة .

وعلمت فيما بعد أنه رجل ثري له أعمال خيرية كثيرة عكس ما يقال عنه تماما ، وفي ذات مساء قمت بزيارة للرجل الغامض فوجدته شخص بسيط ومتواضع.

رحب بي وضيفني كأنه يعرفني منذ سنوات طويلة ، وجهه يوحي بأنه رجل طيب عكس ما يقال عنه ، لم أصبر كثيرا فقد ذبحني الفضول فقلت له :

ـ لماذا يقول الناس عنك كل هذا الكلام ؟ !

ضحك ثم تنهد وقال :

ـ اسألهم أنت .

ـ سألتهم لم أجد جوابا من أحد

ـ أنا لا أشغل نفسي بما يقولون عني ، ولا أبحث عن دعاية، وليست لي نية للترشح في البرلمان ، ولا حتى عاقل المنطقة ، وأنا رجل بعد حالي ، أقوم بجزء من واجبي لله ، ولا أريد شكر من أحد ، وأسأل الله أن يجعل عملي خالصًا وكاملًا لوجهه الكريم.

ذهبت إليه باحثا عن جواب وعدت بلا جواب.!

وازدادت حيرتي ، وذات يوم سألت زميلي المدرس فهو من أبناء المنطقة ويعرفها جيدا ، سألته عن أحمد حمود وطلبت منه الصراحة فقال :

- بصراحة أنا أسمع الناس يقولون عنه هكذا .

وأضاف :

- وأعتقد أنه رجل سيء.

سألته :

- كيف يكون رجل سيء وكل أعماله خيرية ، كيف ؟!

- بصراحة الشيخ قال إنه رجل سيء وطالما قال الشيخ فأكيد هو رجل سيء.

- لكن أنتم لكم عقول تحكمون على الرجل من أعماله مش من كلام الشيخ .!

رد زميلي مستغربا:

- هل نحن أعلم به من شيخ المنطقة بكلها ؟!

في اليوم التالي ذهبت إلى الشيخ فوجدته يمضغ القات مع مجموعة من الناس ، تعرف الشيخ علي ، وسألني عن شيخ منطقتي الذي قال إنه يعرفه وبعد أن انصرف الناس سألته عن أحمد حمود فأسود وجهه وصرخ في :

- ما دخلك أنت بقضايا المنطقة ؟!

- يا شيخ الرجل له جهود خيرية ويساعد الجميع وأنت قلت أنه رجل سيئ ، بدلا من شكره تشتمونه ؟!!

- هو يشتي يتمشيخ[1] على الناس في المنطقة ولذا يحاول يكسب الناس ويحصل على شعبية.

- هو لا يشتي يتمشيخ ، ولا يترشح ولا حاجة من التي في ذهنك.

تهلل وجه الشيخ واستنار وقال :

- هو قال لك هكذا ؟

- نعم قال لي هذا بعظمة لسانه .

- تقدر تخرج منه التزام خطي بهذا الكلام وأطلب مني ما شئت.

ذهبت إلى أحمد حمود وطرحت عليه الأمر ، وحينها كتب بخط يده التزام خطي وبحضور شهود أنه لا يريد مشيخة ، ولن يترشح للانتخابات .

عدت إلى الشيخ وسلمته ورقة الالتزام فطار بها فرحا كأنه نال منصب عمدة لندن!

---

(١) يتمشيخ : يصير شيخا على المنطقة

في اليوم الثاني زار الشيخ المدرسة وألقى كلمة في طابور الصباح قال فيها :

أبنائي الطلاب ، إخواني الآباء الذين يسمعونني أحييكم بالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأقول لكم :

ـ من لا يشكر الناس لا يشكر الله ، وأخونا أحمد حمود قد تغير عما كان عليه سابقا وأعتدل ، وله جهود خيرية ، وأفضال على الناس ، وأنا من هذا المقام أشكره كثيرا وأشكر كل أهل الخير في المنطقة.

بعد خطاب الشيخ بدأت أسمع الناس يشكرون أحمد حمود ويشيدون بجهوده ، لقد أصبح أخيرا مواطن صالح .!

عن المؤلف

محمد مصطفى العمراني: قاص وكاتب يمني من مواليد ١٩٧٩م ، محافظة إب ، عمل في الصحافة اليمنية منذ العام ٢٠٠٠م ، نشر مئات المقالات في الصحافة اليمنية والعربية ..

صدر للمؤلف :

١) عن محاولتي الفاشلة للوصول إلى القمر(قصص قصيرة)

٢) نحن والحمير في المنعطف الخطير (قصص قصيرة)

٣) من عجائب تنكة بلاد الخرافات (قصص قصيرة)

٤) لصوص لكن مبدعون (قصص قصيرة)

٥) مجنون الفقيه (قصص قصيرة)

٦) توبة غريبة (قصص قصيرة)

٧) الأعجوبة (قصص قصيرة)

٨) كنز غريب وكبش أسود (قصص قصيرة)

٩) قطوف في اللغة والأدب والتأريخ والفن

١٠) العلامة العمراني رمز التجديد والوسطية (تراجم)

الفهرس

المصير المنتظر ٥

نهاية مشعوذ ١١

صدمة العمر ١٨

من عجائب الأقدار ٢٥

الحارس صاحب الكلب ٣٠

نهاية التجربة ٣٦

مجنون القصة ٤٣

الوهم الجميل ٤٩

نهاية معلم ٥٤

ليلة مقتل عباس غالب ٥٩

نهاية الجشع ٦٤

مواطن صالح ٧٠